وبالتالي ستكسبها هي المزيد من الوقت لترتيب البديل ، الا ان اجتماع شهر نيسان الماضي الذي نتج عنه اتفاق وطني هام بين الفصائل الساندينية المختلفة اعاد حالة التأهب القصوى في واشنطن . فقد كان ذلك الاتفاق بمثابة النذير لحملة هجومية ثورية اعلن الساندينيون بأنها ستكون النهائية ، وبأنهم لن يتوقفوا حتى الاطاحة بنظام حكم سوموزا .

وبالفعل انعكس ذلك الاتفاق الوطني في ساحة المعركة ، تصعيدا ، وتقدما نحو المدن الرئيسية ، وتحريرها وتطهيرها من قوات الحرس الوطني . ورغم فترة قصيرة من الانتكاسات العسكرية ، فان اوائل شهر حزيران الفائت شهدت تجدد الاندفاعة الثورية ، التي باتت تهدد العاصمة ماناغوا . واعلن الثوار مطار العاصمه هدفا عسكريا لهم ، ووصلت المعارك الى اقرب مسافة حتى ذلك الوقت، من قصر سوموزا المحصن . ودفع هذا التقدم الثوري بالديكتاتور المحاصر الى اعطاء الاوامر بالقصف العشوائي ، وتحديدا ضد ما يسمى بـ « الباريو » ، او الاحياء الشعبية الفقيرة التي تشكل احزمة الفقر في المدن النيكاراغوية . والى جانب سقوط الضحايا بالالاف والتدمير الكامل لهذه الاحياء على رؤوس سكانها ، فقد خلقت سياسة الارض المحروقة التي كان ينتهجها سوموزا ، الى خلق جحافل من اللاجئين . وتشير احدث احصاءات منظمة الصليب الاحمر الدولي ان عدد النيكاراغويين الذين باتوا دون مأوى ، قد وصل الى ٦٠٠ الف نسمة . وقد اكد ذلك رئيس المنظمة ، كما اكد ان عدد ضحايا الاسابيع الستة الاخيرة بلغ ٤٠ الف قتيل .

ومع بدء الهجوم الرئيسي الاخير ، شعرت ادارة كارتر بالخطر ، وبان موطىء قدمها الرئيسي في اميركا الوسطى يتحرك تحت اقدامها . وكان من المتوقع ان ترمي بثقلها وراء سوموزا لتمكينه على الصمود امام تقدم الثوار حتى تطرح « مبادرة سلمية جديدة » لوقف الحرب واحداث انتقال « سلمي » للسلطة بالتفاوض مع الاطراف المعنية . بالطبع ، كان هدف الادارة الاميركية ابعاد الساندينيين عن السلطة ، واصبح هدفها ـ مرغمة ـ تخفيف ثقل الوجود الساندينيي في السلطة البديلة ، فالصة من بعد فشل محاولتها اقناع زعماء البلدان الاميركية اللاتينية ، بمخطط للتدخل العسكري .

ففي الاجتماع الذي انعقد في واشنطن لمنظمة الدول الاميركية ، حاولت الولايات المتحدة الحصول على موافقة الاعضاء بتشكيل قوة عسكرية مشتركة ، ترسل الى نيكاراغوا للفصل بين المتحاربين وتحقيق وقف لاطلاق النار والاشراف على انتقال سلمي للسلطة . ولكن كانت تفوح من الاقتراح رائحة تدخل عسكري للفرض بالقوة ، الحل الملائم في ماناغوا . ورغم الاطار الذي طرح فيه وزير الخارجية الاميركي سايروس فانس ، ذلك الاقتراح ، فانه قد اعاد الى الاذهان التدخل العسكري الاميركي لقمع ثورة شعبية في جمهورية الدومينيكان في سنة ١٩٦٥ ، وتحت ستار قوة اميركية مشتركة . وقد ابدى المجتمعون في واشنطن عدم استعدادهم القبول بمثل هذا الاقتراح والتورط في وضع « دومينيكان ثانية » لان ظروف اميركا اللاتينية اليوم هي غير ما كانت عليه قبل ١٥ عاما .

ثوار ساندينيون يقاتلون في مدينة استيللي

وازاء ذلك الفشل للدبلوماسية الاميركية ، وذلك الافشال للمخطط الذي كانت تضمره ، عادت ادارة كارتر فالغت قرارها بقطع المساعدات العسكرية عن نيكاراغوا . كما انها اوعزت الى صندوق النقد الدولي بالموافقة وتقديم قرض بعشرات الملايين من الدولارات لنيكاراغوا ـ سوموزا .

ولم يكن خافيا ان الغرض من منح ذلك القرض كان لتمويل شراء سوموزا كميات من الاسلحة والذخيرة من اسرائيل ومن الارجنتين ، وكانا مصدرين رئيسيين لسوموزا اضافة الى التزويدات العسكرية السرية التي كانت تنقلها الطائرات العسكرية الاميركية ، وفضحت امرها جبهة المعارضة الواسعة في ماناغوا .

وازاء تقلص الخيارات امام الولايات المتحدة وفي خلفية التوسع المضطرد لقوات الثورة الساندينية وتراجعات قوات سوموزا ، ادركت ادارة كارتر ان نهاية سوموزا قريبة رغم ما كان يردده يوميا، عن رفضه الاستقالة واصراره على سحق الثورة . فتقدمت واشنطن بمقترحات تستهدف تغيير ميزان القوة في الحكومة المؤقتة لاعادة البناء الوطني التي شكلها الثوار الساندينيون من مختلف القوى الوطنية المناهضة لديكتاتورية سوموزا ، كما تستهدف المحافظة على قنابل موقوتة في نيكاراغوا لاستخدامها « عند الحاجة ». فقد اقترحت واشنطن انضمام اثنان من الشخصيات اليمينية الرجعية في هذه الحكومة ، وضمان مكانة ودور الحرس الوطني ، في نيكاراغوا ـ ما بعد سوموزا ـ وارفقت مقترحاتها بوعد تقديم مساعدات اقتصادية ، ولم تكن هناك حاجة لكشف غاية الاغتواء في تلك المقترحات ، التي وصفتها مصادر من المعارضة بمحاولة ابتزاز اميركية صارخة ، مرفوضة .

في هذا الوقت كانت المجموعة الخاصه المؤقتة التي شكلها الساندينيون تسمي اعضاء الوزارة الموسعة المقترحة . وقد تضمنت اللائحة ١٢ عضوا، من بينهم بعض ابرز رجال الاعمال في نيكاراغوا ، ومجموعة من انصار الساندينيين ومن السياسيين الليبراليين ، واحد القادة الساندينيين ، وضابط سابق في الحرس الوطني (كوزير للدفاع) ويدعى برناردينو لاريوس . وكان لاريوس زعيم محاولة انقلابية عسكرية فاشلة ضد سوموزا ، قام بها في السنة الماضية ، وقد سجن ثم اطلق سراحه في كانون الاول الماضي ضمن قرار بالعفو عن عدد من السجناء ، فتوجه فورا الى كوستاريكا حيث اصبح مستشارا عسكريا للساندينيين .

«مع ذلك فان الاتصال بين ممثلي القيادة المؤقتة وبين الولايات المتحدة لم يتوقف ، رغم الضغوط التي ظلت تمارسها واشنطن من اجل توسيع هذه القيادة بادخال عناصر معتدلة ، وتحصيل ضمانات للحرس الوطني . وقد وصل اخر اجتماع بين ممثلي القيادة وبين السفير الاميركي بودلر في نيكاراغوا ، بانه كان « وديا »، وبأن بودلر كان يسأل عن تفاصيل برامج القيادة ... وانعكست نتائج تلك الاتصالات والمفاوضات التي شارك فيها ايضا ممثلون عن حكومات اميركية لاتينية ـ فنزويلا ، اكوادور ، بيرو ، كولومبيا ، وبوليفيا ـ في خطة وقف اطلاق النار التي اعلنتها الحكومة المؤقتة المدعومة من الساندينيين ، وفي الوقت الذي كانت تحاصر فيه القوات الثورية ، العاصمة ماناغوا لاقتحامها وتحريرها . اما الخطة فكانت كالتالي :

١ ـ ان يقدم سوموزا استقالته الى الكونغرس.

٢ ـ ان يسلم هذا الكونغرس السلطة الى حكومة اعادة البناء الوطني .

٣ ـ ان يتم الاعتراف بهذه الحكومة فورا ، من قبل كافة اعضاء منظمة الدول الاميركية .

هذا ، على ان تكون الخطوة الاولى لهذه الحكومة الغاء دستور نظام حكم سوموزا ، وحل الكونغرس واصدار الاوامر للحرس الوطني بوقف اطلاق النار ، والعودة الى ثكناته ، مع ضمانات كاملة لسلامتهم الشخصية . وعلى اعضاء الحرس الوطني الذين يرغبون في ذلك ، ان يلتحقوا بالقوات المسلحة الجديدة التي تتشكل من المقاتلين الساندينيين . وسيكون باستطاعة كل افراد الحرس الوطني ومسؤولي نظام سوموزا ، مغادرة البلاد باستثناء مؤلاء الذين ارتكبوا جرائم او متهمين بالفساد . وستلتزم جبهة التحرير الساندينية بأمر الحكومة الجديدة بوقف اطلاق النار .

ويلاحظ من هذه الخطة ان الحكومة المؤقتة قد اقتربت نحو المطلب الاميركي بشأن مستقبل الحرس الوطني ، مقابل ضمان واشنطن رحيل سوموزا . وكان بيان قد اذيع من اذاعة الثوار الساندينيين قد تضمن ما يلي : « اننا ندرس الوضع السياسي والدبلوماسي للرى ما اذا كان موقعنا العسكري يسمح لنا بان نكون اكثر مرونة

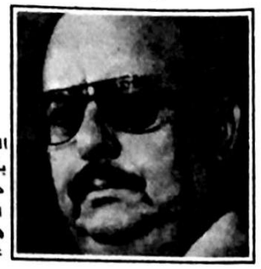
الديكتاتور الفار : بقي جزارا حتى اللحظة الاخيرة ثم هرب ليلجأ عند اسياده

ومن دون ان نسيء الى مبادئنا او نهدد انتصارنا» والجدير بالملاحظة هنا ان الساندينيين كانوا عشية طرح خطة وقف اطلاق النار ، يسيطرون على معظم نيكاراغوا ، وعلى مسافة من العاصمة ماناغوا تجعلها عرضة لقوتهم النارية .

ورغم ان سوموزا رفض ما ورد في خطة الحكومة المؤقتة حول مسألة الحرس الوطني فقد كان رحيله في مطلع الاسبوع امرا غير مفاجئا اذ كانت الايام القليلة التي سبقت فراره تمتلىء بالتصريحات وبأنباء رسمية وغير رسمية ، عن استقالته الوشيكة . ونقلت اذاعة الثوار الساندينيين البشرى للشعب النيكاراغوي : « لقد اطيح بديكتاتورية سوموزا الاجرامية واصبح شعب نيكاراغو، حرا » . وفي ٢٦ مدينة من اصل ٣٠ في البلاد ، خرجت الجماهير الشعبية في تظاهرات عارمة للتعبير عن فرحة الانتصار ولتهتف لجبهة التحرير الوطني الساندينية .

واصبح شعب نيكاراغوا حرا . لكن كما قال احد القادة الساندينيين في اثر النبأ : لقد انتهى الكابوس وبدأت المتاعب . وبالفعل لن تلبث المتاعب ان تبدأ . ولا يتعلق الامر فحسب بعملية اعادة البناء الهائلة ، وبالحاجات الحياتية لجماهير الشعب ، وباللاجئين الذين يفوق عددهم النصف مليون نسمة ، بل يتعلق الامر ايضا بالصراع على السلطة بين الاجنحة الساندينية، الماركسية و « المعتدلة » ، كما يتعلق بالاستغلال الاميركي المؤكد لهذا الوضع . فشروطها المتعلقة بادخال عناصر يمينية محافظة الى الحكومة المؤقتة ، والمتعلقة بالضمانات للحرس الوطني ، ليست بريئة سياسيا بالطبع . وكما تحضرنا اساليب الثورة المضادة وكيف استخدمت في كل من تشيلي في اوائل السبعينات ، والبرتغال في اواسط السبعينات تحضرنا اليوم ونحن نرقب انتصار ثورة الساندينيين المسلحة الرئيسي الاول ، واعباء الارث الذي خلفته احد ابشع ديكتاتوريات القرن في اميركا اللاتينية واصابة مصالح الولايات المتحدة الامبريالية ، الاقتصادية والاستراتيجية ، في قلعتها في اميركا الوسطى ، وللمرة الاولى من بعد انتصار ثورة الشعب الكوبي . وعندما تصرح مصادر الحكومة الاميركية ، بأنها تتوقع ان يؤدي سقوط سوموزا الى صراع على السلطة طويل الامد بين الثوار الساندينيين الذين « تدربوا في كوبا » وبين « المعتدلين » الساندينيين ، وعندما تضيف انها تخشى بان تصبح اليد العليا في نيكاراغوا للماركسيين ، فانها تؤشر الى احد الثغرات التي ستدخل عبرها ادوات الثورة المضادة .

احجار الدومينو

ولا ينحصر الامر بالنسبة للولايات المتحدة بنيكاراغوا حيث تحقق اول اختراق للجدار الذي رفعته الامبريالية الاميركية حول هذا الجزء من القارة ، من قبل طليعة ثورية خاضت النضال المسلح واستنهضت الجماهير الشعبية وكافة القوى السياسية المناهضة لديكتاتورية نصبها اساسا الغزاة الاميركيون الشماليون ودأبوا على تغذيتها ومساندتها طوال نصف قرن تقريبا كحصن حصين للولايات المتحدة في اميركا الوسطى .

فعندما انتقلت ادارة كارتر من الرفض المطلق لاي دور للثوار الساندينيين في السلطة العتيدة في ماناغوا ، الى الاقتناع ـ مرغمة ـ بان لا مفر من مثل هذا التطور ، كان ذلك يعود الى اداء الثورة الساندينية في ساحة المعركة وما اثبتته من ثقل ومن استقطاب جماهيري من حولها . ولكن كان يعود ايضا ، الى رغبة واشنطن في امكان ما يمكن انقاذه ، من خلال ما تصفه بالجناح « المعتدل » ، بهدف تقليص نفوذ الجناح الثوري واحتواء الثورة في نهاية المطاف . ولا يتعلق الامر هنا بالنية المفهومة للاحتفاظ بنيكاراغوا داخل فلك نفوذها ، بل بمضاعفات انتصار الثورة الساندينية ونجاح الجناح الثوري في الامساك بالسلطة فيها ، على البلدان الاميركية الصغيرة حول نيكاراغوا ، ومصير انظمة الحكم فيها الدائرة في فلك النفوذ الاميركي ، اي انها تخشى من تطبيق « نظرية الدومينو » .

وهناك في الواقع اسس لمخاوف الولايات المتحدة من تأثير انتصار الجناح الماركسي الثوري الساندينيي على « استقرار » و « امن » الانظمة العسكرية في اميركا الوسطى . وقد لخصت مجلة « يو اس نيوز اند وورلد ريبورت » (١٦ تموز ١٩٧٩) المخاوف الاميركية الاساسية كالتالي :

■ بالنسبة الى كوبا ، يرى الاستراتيجيون الاميركيون انها وقد كانت سندا للثوار الساندينيين ، قد حققت دفعة قوية لمكانتها . وان ماناغوا في قبضة ماركسيين ثوريين ، ستكون حلقة وصل رئيسية في شبكة النفوذ التي تبنيها هافانا في منطقة البحر الكاريبي ، من غيانا الى جامايكا ...

■ ان امساك ماركسيون ثوريون للسلطة في ماناغوا من شأنه ان يهدد نظام الحكم العسكري التابع للولايات المتحدة ، في غواتيمالا ، خاصة وان الطغمة العسكرية الحاكمة هناك ، قد قدمت للديكتاتور سوموزا دعما ملموسا . هذا اضافة الى الدفعة القوية ، والاسناد المتوقع ان تقدمه ماناغوا للحركة الثورية الغواتيمالية .

■ ان الطغمة العسكرية الحاكمة ، في السلفادور تواجه ثورة مسلحة مدعومة من العمال والفلاحين ، وقد قدمت بدورها ، المساعدة للديكتاتور سوموزا تخوفا من مضاعفات سقوطه وتسلم ماركسيين ثوريين للسلطة في ماناغوا ، والزخم القوي الذي سيعطيه مثل هذا التطور للثورة المسلحة في البلاد .

■ الهندوراس ، حيث الحكم العسكري ضعيف نسبيا . ولذلك فقد « حاول ان يكون حياديا » ازاء احداث نيكاراغوا ، لان الحالة في البلاد ناضجة وقابلة لاشعال انتفاضة شعبية لا مد وان تحوز على مساندة نيكاراغوا في حال امساك الجناح الماركسي الثوري الساندينيي ، للسلطة في ماناغوا .

■ رغم تأييد الحكم في كوستاريكا للثورة المناهضة لسوموزا ، وقد كانت الوحيدة التي فتحت ابوابها للثوار الساندينيين ، فان من شأن قيام حكم ماركسي ثوري في ماناغوا اعطاء دفعة قوية للقوى اليسارية في كوستاريكا .

■ هناك حركة يسارية قوية في بناما ، وحيث تعتبر منطقة قناة بناما ذات اهمية حيوية للولايات المتحدة ومصالحها الاقتصادية والاستراتيجية في المنطقة ، ورغم الثقة التي يبديها حكام بناما بشأن « ضبط اليساريين » ، فان التأييد العارم في اوساط الشعب هناك ، للثوار الساندينيين ، يكشف عن ارضية خصبة في بناما للتأثر بنجاح الجناح الثوري الساندينيي في اي صراع على السلطة يمكن ان ينشأ بينه وبين الجناح « المعتدل » .

وتصل المجلة الاميركية الوثيقة الارتباط بالدوائر الاميركية الحاكمة من بعد هذا الاستعراض السريع ، الى نفي طابع التضخيم في تخوف واشنطن من تطبيق نظرية « الدومينو » في اميركا الوسطى ، والى التأكيد بان ادارة الرئيس كارتر مصممة تصميما مطلقا على منع قيام « حتى ما يشبه كوبا ثانية » في ذلك الجزء من القارة (!) وبالفعل فقد دخلت الولايات المتحدة الساحة النيكاراغوية حتى قبل سقوط سوموزا لتباشر دورها في الصراع على السلطة المحتمل ، وتحاول اعادة احتواء نيكاراغوا واجهاض التجربة الثورية التي من شأن انتصارها النهائي ، ان يحقق انعطافا تاريخيا في اميركا اللاتينية .